الافتراض الصوتي في الجذر الثنائي (دراسة في ضوء علم اللغة الحديث)

هبة فائق فاضل أ.د محمد بشير حسن

جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

Email:hebaaheba616@gmail.com
dr.moh7777@gmail.com

Published:1-12-2023

Keywords: الإفتراض - الجذر - الثنائي

Abstract

The hypothesis is an important aspect of the clarification of some linguistic rules, as it is meant by what the linguist assumes of things that do not exist in reality in order to find a justification for clarifying some linguistic issues. The weak binary due to the phonetic and lexical repercussions of this root, and the research assumes that there is a relationship between the phoneme and the lexicon, and that this relationship was represented in a stage of the emergence of the language, especially what came in the theory of simulating the sounds of nature. A valid sample for study and shedding light on this part that was not sufficiently highlighted.

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص

يعد الإفتراض جانبا مهما من جوانب توضيح بعض القواعد اللّغوية؛ إذ يراد به ما يفترضه اللغوي من أشياء لا وجود لها في الحقيقة ليجد مبررا لتوضيح بعض المسائل اللّغوية، ولقد وجد الباحثان أن هناك افتراضا صوتيا في مستويات اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، واختير الافتراض في الجذر الثنائي لما لَهُ من تداعيات صوتية ولاسيَّما الثنائي المضعف والرباعي المكرر، وإنَّ هذه التداعيات تمثل مرحلة من مراحل نشأة اللغة لا سيما ما جاء في نظرية محاكاة أصوات الطبيعة؛ ولما كانت الجذور الثنائية المضعفة فيها إشكالية التفسير بين الباحثين المحدثين فقد كانت عينة صالحة للدراسة وتسليط الضوء على هذه الجزئية التي لم تدرس بشكل كافٍ .

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين.

أما بعد: فيعد الإفتراض مفهوما فكريا استعمله القدماء في معرض تقعيدهم لقواعد اللّغة، فافترضوا أصواتًا في مستويات اللّغة فتصوروا وجود بعض الأصوات فقدروها تقديرا يحفظ لهم اطراد القاعدة في الصوت والصرف والنحو ليكون الافتراض وسيلة فكرية تدفع عن النحوي الحرج في كثير من المواضع، وقد اختار الباحثان الجذر الثنائي وما صاحبه من تقديرات وتأويلات رُبَّما لا تكون موجودة أو بعيدة عن الحقائق اللّغوية المعروفة.

وسيتكون البحث من مبحثين، الأول منهما بعنوان (مفهوم الافتراض الصوتي)، تحدثنا فيه عن الافتراض في اللّغة والاصطلاح ثمَّ حاولنا أَنْ نضع لَهُ مفهوما محددًا، فعرفناه، وذكرنا الفرق بينه وبين التقدير والقياس، ثمَّ حاولنا أَنْ نبين موقف القدماء والمحدثين منهُ.

أما المبحث الثاني فكان عن الافتراض في الجذر الثنائي ، تحدثنا فيه عن الجذر الثنائي والثلاثي، ثم ذكرنا موقف القدماء والمحدثين منهما، ثمَّ حاولنا أَنْ نستقصي الافتراض الصوتي في الجذر الثنائي وتطرقنا فيه لبعض الأمثلة التي حاولنا أَنْ نحللها على وفق معطيات علم اللّغة الحديث.

المبحث الأول

مفهوم الافتراض الصوتي

تعريف الافتراض لغة واصطلاحا

الإفتراض لغة : من الفعل الثلاثي (فَرَضَ) وهو في اللغة الحز في الشيء، قال ابن فارس : ((والفاء و الراء والضاد أصل صحيح يدل على تأثير في شيء من حزٍ أو غيره))[١]

وقيل إنَّه لفظ مشترك أصل وضعه ل(القطع) ثم نُقل إلى الإيجاب والتقدير لأنَّ الواجب مقطوع لانقطاعه عن الشبهة وعدم احتمال الزيادة والنقصان .... وكذا المقدر مقطوع عن الغير))[٢] .

وفي الاصطلاح: ضرب من أضرب القياس الذي يعتمد على فكرة الأصل والفرع بحمل الفرع على الأصل بالعلة التي علق عليها الحكم في ذلك الأصل[٣]

أما الافتراض الصوتي : فهو ما يفترضه اللغوي من احتمالات صوتية لا وجود لها في الواقع ربما كان من أجل أن يجد مخرجا لتصويب قاعدة صوتية وصرفية ونحوية .

والافتراض على ذلك يكون في مستويات اللغة الصرفية والصوتية والنحوية، وقد تكون مواضعه محط خلاف بين الباحثين المحدثين ومن ذلك مثلا:

ما جاء في إبدال التاء من الياء؛ إذ اختلف العلماء المحدثون في هذا النوع من الإبدال، فافترض الدكتور داوود عبده عدم أصلية صيغة (إفتعل) وأن أصلها هو (إتفَعَل) بتقديم حرف الزيادة على الفاء، ويذكر أدلة على صحة ما يقول منها وجود هذا الأصل في اللغات السامية، ويرى أنَّ أحرف الزيادة تضاف قبل الفاء مثل (أفعل وانفعل واستفعل) وكذلك الحال في (إتفَعَل)، ويبدو أنَّه افترض أصواتا في البنية بخلاف ما افترضه القدماء.[٤]

ويرى الدكتور عبد الصبور شاهين أنَّ نون التوكيد في الفعل المضارع الثقيلة والخفيفة في كان أصلها (آن) بهمزة وصل، فهي تشبه (أنّ) الناسخة، والفارق بينهما هو الهمزة، التي تكون مع (أنَّ) همزة قطع ومع نون التوكيد تكون وصلا[٥] ، وهذا تأويل غريب، وقد دعاه هذا الافتراض التزامه الصارم بنظرية المقطع الصوتي؛ إذ يقول: ((والواقع أن العربية لم تعرف اسما أو فعلا أو حرفًا جرى في نسجه المقطعي على هذا النحو الغريب المتمثل في نون التوكيد الثقيلة (ص – ص – ح) فهذا شكل مرفوض أساسا في اللغة وكذلك لم تعرف اللغة أداة تتكون من حرف واحد (ص) كما في النون الخفيفة))[٦] .

فقد كان الخلاف كبيرا بين المحدثين؛ بل فاق ما كان موجودا عند القدماء الذين لهم آراء متعددة لا يسع المجال لذكرها.

علاقة الافتراض بالتقدير والتأويل :

أما التقدير فالمراد به : حذف الشيء مع بقاء دليل عليه، وقيل هو الحذف على نية الإبقاء[٧] على الافتراض الذي نحن بصدده جزء من عملية التقدير هذه الذي يلجأ اللغويون إليه عندما يضعون قواعدهم ولا تستقيم مع الواقع اللغوي فيقدرون، ومن ذلك ما ذكره النحويون في الاسم الثنائي من قولهم إنَّ الاسم وضع ليكون على ثلاثة فصاعدا فاضطروا إلى تقدير حرف ثالث في الأسماء الثنائية الظاهرة في اللغة العربية مثل (يد) و (أب) و (أخ) وغيرها، فذكروا أنَّ أصلها يدو وأبو وأخو وهذه الألفاظ قد تكون مقدرة وغير مستعملة في الواقع اللغوي.

وكذلك الحال بالنسبة للتأويل المراد به: ((محاولة إرجاع النصوص التي لم تتوافر فيها شروط الصحة نحويا الى موقف تتسم فيه بالسلامة النحوية أو بتعبير أخر هو صب ظواهر اللغة المنافية للقواعد في قالب هذه القواعد)) [٨] ويلتقي مع الافتراض في أنَّ التأويل يمكن أن نقول إنَّه محاولة لوضع جذور مفترضة لبعض الألفاظ او محاولة الوصول الى بعض الجمل من أجل خدمة قاعدة لغوية معينة وليس بالضرورة أن تكون هذه الألفاظ مستعملة عند العرب.

الافتراض عند القدماء والمحدثين:

ورد الإفتراض عند القدماء بشكل كبير بسبب المعيار الذي يحتكمون إليه عند تقعيد القواعد وما شذ عن هذا الإنموذج يُخرجونه بتخريج معين وقسم من هذه التخريجات لا وجود لها في الواقع، والافتراض عند القدماء يدل على تنظيمِ عقليّتهم اللّغويّة والنحويّة؛ لأنّ بهم حاجة إلى ذهن ثاقب وفكر ناقد ونظر حاد كي يستطيع أن يفترض في اللّغة، فاللّغة زيادة على كونها ذوقا يمتلكه المتكلّم، فهي فكر: ((ولولا الفكر لفقدت اللّغة خواصها، ولم يكنْ لوجودِها أيّة فائدة، فإنّ الفكرَ هو الّذي يربط الألفاظ بمعانيها فيعمد اليها وهي اصوات فارغة فيردها كالأصدافِ تحمل من درر المعاني ما يبهر العقل، أو كالأغصان تحمل من الثمارِ ما تشتهيه النّفس، والفكر هو الّذي يتوسل به الإنسان إلى توسيع نطاق اللّغة وتنظيمها، فيدخل فيها عند الحاجة كلمات جديدة أو يبتدع فيها أساليب طريفة ويضعُ لها قواعدَ تساعد النّاس على تعلمها ، وتحفظهم من الخطأِ عند النطق بها))[٩] ، وبعبارةٍ مختصرةٍ أنَّ: ((اللغة ليست مجرد أداة للفكر، بل هي أيضا القالب الذي يتشكل فيه الفكر)) [١٠] .

ومن افتراضات القدماء ما ذكره سيبويه في : ((باب الإضافة إلى ما ذهبت فاؤه من بنات الحرفين وذلك : عدَة و زِنة، فإذا أضفت قلت :عدي و زني و لا ترده الإضافة إلى أصلها لبعدها من ياءي الإضافة، لأنّها لو ظهرت لم يلزمها ما يلزم اللّام لو ظهرت من التغير لوقوع الياء عليها))[١١] فسيبويه تحدث عن النّسب إلى ما حذفت فاؤه ، وقد اعتل بعلة افتراضية لعدم رجوع الفاء المحذوفة عند النسب، وهي كونها بعيدة عن ياء النسب، فعند رجوعها لا يحدث فيها أي تغيير عكس اللام المحذوفة فإنها ترجع لأنّها تحتوي الكسرة التي تأتي من جرّاء ياءِ النسب[١٢]

وقد عبر الخليل عن الشخص الّذي يستعمل الافتراض بالحكيم وهذا يؤكد أنَّ الافتراض في اللغة ليس بأجنبي عنها؛ بل هو من الحكمة؛ لأن ذلك من شأنه أن يكشف عن تلك العلل التي قامت في عقول أهل العربية وتحويلها من ملكة إلى صناعة قواعد قابلة للدّراسة فيما بعد[١٣]؛ لأن((تقعيد القواعد ما هو إلّا فحص لمادة لغويّة تمَّ جمعها بالفعل ، و محاولة لتصنيفها واستنباط الأسس والنظريات التي تحكمها))[١٤]

الاقتراض عند المحدثين :

عرف الدرس اللغوي الحديث الافتراض وقد وضع له بعض العلماء المحدثين تعريفا مناسبا له فقد عرفه الدكتور أحمد ياقوت بأنه:((اجتهادات شكلية لا علاقة لها إطلاقا بالاستعمال الفعلي))[١٥]

وقد ذهب المحدثون على ثلاثة اتجاهات في القول بالافتراض وهي :

الاتجاه الأول :

اتجاه المدرسة التحويلية التوليدية وعلى رأسها (جومسكي) فيرى هؤلاء أنَّ الإنسان يمتلك معرفة ضمنية بقواعد لغته وهو ما يطلق عليه بالكفاية اللغوية التي بينها وبين الافتراض علاقة الخاص بالعام فالافتراض يعتمد على الكفاية فلا يستطيع اللغوي أن يفترض مالم تكن لديه كفاية لغوية فالكفاية هي سبب من أسباب الافتراض[١٦]

ومن المؤيدين للافتراض والمدافعين عنه الدكتور عبده الراجحي الذي يرى : أنَّ للاقتراض أثرًا كبيرًا في اللغة لمعرفة الطبيعة الخلاقة فيها فبوساطته نتجاوز الوصف المحض في اللغة إلى تفسير ظواهرها تفسيرا عقليا وهذا التفسير أثبت صلاحية وأهمية الافتراض في فهم الطبيعة الخاصة باللغة العربية[١٧]

وأكد الدكتور غانم قدّوري الحمد أنَّ: ((من أسباب التفاؤل في مستقبل الدرس اللغوي العربي المستند إلى تراثنا اللغوي القديم ما استجد من دراسات ونظريات توضح أن النّظرة العقلية الّتي أنبنت عليها علوم اللّغة العربية هي من عوامل قوتها، وأنَّ المنهج اللغوي الحديث أعاد للنّظرة العقلية و المنطقية مكانها في التحليل اللغوي وفي التقعيد))[١٨]

أمّا الدكتور علي زوين فذهب إلى أن افتراض البنية العميقة في اللغة يمكن الإفادة منه في فهم معاني الكلمات مفردة و مركبة[١٩]

أما الاتجاه الثاني وهو الاتجاه الرافض لمفهوم الافتراض ومن الرافضين له الدكتور عبد الرحمن أيوب الذي يرى أنَّ الافتراض يعد من العيوب في اللغة إذ يقول: ((و ثمة عيب آخر في التفكير النّحوي التقليدي ، ذلك أنه لا يخلص إلى قاعدته من مادته، بل إنه يبني القاعدة على أساس من اعتبارات أخرى ثم يعمد إلى المادة فيفرض عليها القاعدة التي يقول بها، وهذا النوع من التفكير الذي يسميه

الغربيون (arpriori) لا يمكن أن يوصف بأنه تفكير علمي بالمعنى الحديث وهذا النوع من التفكير الذي الحديث...وقد اتسم التفكير اللغوي في العصر الحديث بموضوعية البحث، و اقتنع اللّغويون بأن يكونوا وصّافين للظواهر اللغوية لا مفلسفين لها)) [٢٠]

أما الاتجاه الثالث: و هو اتجاه بين بين يؤمنون ببعض الافتراضات وينكرون بعضها الآخر، وخير من يمثل هذا الاتجاه الدكتور سليمان ياقوت؛ إذ يقول: ((نود أن نقول إن الفروع التي تظهر أصولها بالنظر المجرد ، أو بعملية واحدة من عمليات القلب ، مثل : وجه وجاه، وضنن ضن، وقاضي قاض، شيء مقبول .. هذه واحدة، وأخرى إنّ الفروع الّتي لايُستبين أصولها إلا بعد طول النّظر و إمعان الفكر وإجهاد العقل وعمليات صرفية معقدة ، مثل : خطايا ومطايا وقسي ، مرفوضة عندنا ، صحيح أنها عمليات و أصول افتراضية ، كما يقول ابن جني ، ولاصلة لها بالواقع ، ولكنها – بالإضافة إلى ذلك– ليست بذات فائدة لغوية ، و تركها لن يضيرُنا و لن يضيرُ اللغة شيئا)) [٢١]

المبحث الثاني

الافتراض في الجذر الثنائي

تكلم الباحثون المحدثون على الأصل الثنائي والثلاثي، وقد كانت لهم آراء في ذلك وهي في حقيقتها افتراض، منها تصورهم أنَّ الجذر الثنائي هو الأصل الذي اشتق منهُ الثلاثي وغيره فضلًا عن قولهم بالمحاكاة الصوتية في الجذر الثنائي والثنائي المدغم والمضعف، ذكر ذلك موسكاتي أنَّ الجذور الثنائية هي الأصل وأنَّ الثلاثية تطورت منها أو اشتقت منها، يقول موسكاتي:((أليس كثير من الجذور الثلاثية السواكن في حقيقة أمرها مشتقة من الجذور الثنائية السواكن))[٢٢] ، ويخلص إلى أنَّ((الجذور الثنائية السواكن في اللّغات السامية ليست فرضية (Hypothesis) مرتبطة بعهد ما قبل التاريخ ولكنها لكونها قيمًا حقيقية تاريخية تشهد على صحتها مجموعة أسماء وسلسلة صيغ فعلية وفوق ذلك يؤيد هذا الاتفاق الدلالي لجذور كثيرة في اثنين من أصواتها الأصول، وليس من سبب كاف مع ذلك يؤكد كما فعل آخرون أنْ هيكل الجذر السامي كُلّه كان في الأصل ثنائيًا))[٢٣] .

وأشار برجشتراسر أنَّ بعض الأسماء في العربيّة من مثل (أخ ، أب ، حم) هي ثنائية وهي تمثل مرحلة قدمى للجذور الثلاثية؛ بل هي أصلها المشتق منهُ[٢٤] [٢٥].

وتبنى الأب مرمرجي الدومنيكي فكرة الثنائية أصل للجذور بقولهِ: ((الثنائية هي النظرية القائلة بأنَّ الأصول في العربيّة – وكذلك في أخواتها السامية – ليست الألفاظ ذوات الحروف الثلاثة بل ذوات الحرفين؛ إذ من شأن الثلاثيات أنْ تردّ إلى الثنائيات))[٢٥].

ولم يكتف الباحثون المحدثون بذلك بل توصلوا إلى أنَّ الجذور الثنائية فيها محاكاة ولاسيَّما المدغمة والمضعفة، يقول في ذلك جرجي زيدان:((إن الألفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يُردّ

معظمها بالاستقراء إلى أصول ثنائية (أحاديةِ المقطع) تحاكي أصواتا طبيعية ..... مثالُه : قط و قطب و قطف و قطع و قطم و قطل جميعها تتضمن معنى القطع ، إلا أن كل واحدة منها استعملت لتنوع من تنوعاته ، فالثاني و الثالث يتضمنان مع القطع معنى الجمع ، و الخامس الفض ، و السادس الشّدة ، و الأصل المشترك بينها (قط) ، و هو بنفسه حكاية صوتِ القطع كما لا يخفى "[٢٦]

يتضح من المذكور آنفًا أنَّ ثمة افتراضات وردت في كلام الباحثين المحدثين تتيح للباحثين أَنْ يعرضا أو يناقشا أصول هذه الفكرة مبتدئين بالقدماء الذين ناقشوا هذه الموضوعات فقد أثبتوا أَنَّ العربيّة ثلاثية الأصول والألفاظ الثنائية ملحقة بالثلاثي وقد طغت نظرتهم هذه في جميع مستويات اللّغة؛ إذ ذكر الخليل : ((الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف. حرف يُبتدَأ به. وحرف يحشى به الكلمة، وحرف يوقف عليه))[٢٧]

وذكر أيضا: ((وقد تجيء أسماء لفظها على حرفين وتمامها على ثلاثة أحرف مثل يد ودم وفم وإنما ذهب الثالث لعلة أنها جاءت سواكن وخلفتها السكون مثل ياء يدي وياء دمي في أخر الكلمة فلما جاء التنوين ساكنا اجتمع ساكنان فثبت التنوين لأنه إعراب وذهب الحرف الساكن فإذا أردت معرفتهما فأطلبهما في الجمع والتصغير))[٢٨]

بل يرون أن الثلاثي متمكن أكثر من الثنائي إذ يقول ابن جني :((وليس اعتدال الثّلاثيّ لقلة حروفه حسب؛ لو كان كذلك لكان الثّنائيّ أكثر منه؛ لأنه أقل حروفًا ، وليس الأمر كذلك؛ ألا ترى أن جميع ما جاء من ذوات الحرفين جزءٌ لا قدرَ له فيما جاء من ذوات الثلاثة؛ نحو: مِن، وفي، وعن، وهل، وقد، وبل، وكم، ومَن، وإذ، وصه، ومهْ ولوشئتُ لأثبتُ جميع ذلك في هذه الورقة.....وأقل منه ما جاء على حرف واحد ؛ كحرف العطف وفائه... فتمكن الثّلاثيّ إنما هو لقلة حروفه ، ولشيء آخر وهو حجز الحشو الذي هو عينه– بين فائه ولامه؛ وذلك لتباينهما، ولتعادي حاليهما ألا ترى أن المبتدأ لا يكون إلاَّ متحركًا، وأن الموقوف عليه لا يكون إلاَّ ساكنًا؛ فلما تنافرت حالاهما وسَّطوا العين حاجزًا بينهما؛ لئلا يفجئوا الحِسَّ بِضدِّ ما كان آخذًا فيه، ومنصبا عليه))[٢٩] وذكر إبن دريد: ((و إنّما سُميَ ثنائيا للفظه و صورته ، فإذا صرت إلى المعنى و الحقيقة كانَ الحرف الأوّل أحد الحروف المعجمة و الثاني حرفين مِثلين أحدهما مُدغم في الآخر نحو : بَتَّ يَبُتُّ بَتًّا ... و هو ثلاثة أحرف فلما مازجها الادغام رجعتْ إلى حرفين في اللفظِ))[٣٠] و هم لا يقصدون اللّفظ و الصّورة بل يقصدون المعنى و هو ثلاثي والدليل على ذلك أننا لو كتبنا اللفظة التي وردَت في نص ابنِ دريد كتابة مقطعيّة لتبين لنا عدد صوامتِها على النّحوِ الآتي[٣١] :

بَتَّ ⟵ /ب...ت/ت.../

فنلحظ أن القواعد (الصوامت) في المقطع ثلاثة لا اثنان ، إلّا أن صورة الكلمة ثنائية ؛ بسبب ادغام حرف الباء في مثله ، زيادة على ذلك أن الباء و التاء وحدهما ليس لهما معنى ، بل المعنى في الباء و التاء المضعفة (بتت) ، ثم إن ((الثنائي قليل المورد في الكلام ، مضبوط العدد في الإحصاء ، حتى لم يجئ إلا أداة أو ما شاكل الأداة أو نَدها أو حكاية ، و لم يكن له تصريف مع هذا ، لأن أكثر ما له القلب وقلما يتفق استعماله على وجهين فلما كان كذلك عُدِلَ عنه إلى الأكثر مباني و معاني و الأوفر حظا من التصاريف و هو الثلاثي))[٣٢]

يتضح مما تقدم عرضه أن العربية تستقر على الأصل الثلاثي لأن الأصل الثنائي قد يكون عاجزا عن أداء المعنى وتكون استعمالاته قليلة حتى في السامية القديمة وقد اشار الى ذلك موسكاتي فهو مع اصراره بأن اصل اللغة هو الثنائي الا إنه يرى انه قليل في الاستعمال[٣٣] فالثلاثي متمكن أكثر من الثنائي فإفتراض ثنائية الأصل عند من نادوا به كان بعيدا عن مسألة الأصلية و الفرعية والتي اعتمد القدماء فيها بصورة رئيسية على مسألة القلة والكثرة التي لم يلتفت اليها العلماء المحدثون الذين تتبعوا بعض الروايات التي تتصل بمسألة نشأة اللغة وهذه الروايات قد لا يعترف بها العديد من الباحثين المحدثين .

فنقول ليس هناك دليل ان الأصل الثلاثي متطور عن الثنائي وهو افتراض لا يوجد عليه دليل فعلا هناك امثلة في المعاجم لكن اذا ماقسناها يكون عددها قليل لا تنهض ان تعمم كظاهرة لكن نتساءل هنا هل هذه الالفاظ قسم تطور منها وقسم بقي على حالها ام أن اللغة العربية استقرت على لإن الدلالة لاتتم إلا بالثلاثي؟

أما المحاكاة الصوتية المراد بها : ((تسمية شيء أو حدث بناء على الإيحاء الصوتي المرتبط باللفظ، مثلcuckoo. meow bees))[٣٤] ، فقد تصور جرجي زيدان من المحدثين الذي يرى أن الأصول الثنائية تحاكي معناها إذ قال جرجي زيدان : ((إن الألفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يُردّ معظمها بالاستقراء إلى أصول ثنائية (أحاديةِ المقطع) تحاكي أصواتا طبيعية ... مثالُه : قط و قطب و قطف و قطع و قطم و قطل ، جميعها تتضمن معنى القطع ، إلا أن كل واحدة منها استعملت لتنوع من تنوعاته فالثاني و الثالث يتضمنان مع القطع معنى الجمع ، و الخامس الفض ، و السادس الشّدة والأصل المشترك بينها (قط) ، و هو بنفسه حكاية صوتِ القطع كما لا يخفى))[٣٥]

وكذلك تصور العلايلي ان للغة الانسان ثلاثة أدوار وهي :[٣٦]

١-الدور الأول : (لغة الانسان الفطري) : و في هذا الدورِ كانت لغة الانسان تحاكي الاصوات الطبيعية اي ان لكل صوت في اللغة يحاكي صوت في الطبيعة سواء كان انسان او حيوان او

نبات وتسمى هذه المرحلة بالنظرية الاحادية والتي تدل على ان لكل صوت من اصوات اللغة معنى جامعا يؤديه .

٢-الدور الثاني : وهي مرحلة مكملة للمرحلة الاولى وهي مرحلة تشكل هذه المقاطع لاكثر من حرف لتؤدي غرض معين

فيرى العلايلي أن الثنائي تكون نتيجة الاصوات الاحادية.

٣-الدور الثالث:وهي مرحلة التمدن والتي تشكل فيها الثلاثي بابعاده الجديدة كما يرى العلايلي.

وقضية المحاكاة الصوتية كان لها أصل واضح عند القدماء فذكر الخليل: ((كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدًّا، فقالوا: صرّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعًا ، فقالوا: صرصر))[٣٧]

وأصَّل عبقري اللغة ابن جني لهذه الدلالة، فعقد بابًا في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وبابًا في إمساس الألفاظ أشباه المعاني[٣٨]

أما ابن فارس فقد كانت له ريادة في هذا الأمر الذي كان يتوخى الدلالة المحورية للجذر اذ ورد في معجم مقاييس اللغة أمثلة متعددة في الأصول الثنائية فيها ملمح محاكاة وهذا ما توصل اليه بعض الباحثين المحدثين الذين سبق ذكرهم وكذلك قبل الشدياق بنظرية محاكاة الانسان لأصوات الطبيعية، ورأى فيها وسيلة ناجعة تفيد في تخصيص أصوات معينة لمسميات معينة، فمعظم اللغة مأخوذ عن حكاية بحيث يختص كل صوت بمدلول واحد قد لا يتجاوزه إلى آخر والمقطع الأحادي حرف متحرك+ حرف ساكن يمثل حكاية الصوت، وكثيرا ما حاول الشدياق مقاربة المعنى الحسي الملموس مع هذا المقطع؛ قناعة منه أن العلاقة بين الصوت ومعناه تترسخ في ذهن المخاَطب قبل المخاِطب، عندما تخلق صورة حسية فيها اتفاق بين حكاية الصوت و المدلول[٣٩] وفي الحقيقة ان هناك بعض الألفاظ تحاكي معناها منها ما قاله ابن فارس في مادة(بَرَّ): ((الباء والراء في المضاعف أربعة أصول الصدق، وحكاية الصوت ، وخلاف البحر، ونبت))[٤٠]، وما يهمنا حكاية الصوت التي استدلَّ عليها بالمثل العربي بقوله: ((وأما حكاية الصوت فالعرب تقول لا يعرف هِرًّا من برٍّ، فالهرُّ دُعاء الغنم، والبرُّ الصوت بها إذا سيقت))[٤١].

وحكاية هذا الصوت مازالت تتردد في بيئتنا المحلية؛ إذ نلاحظ الرعاة في القرى و الأرياف ينادون أغنامهم بصوت(برّ) مع تكرار الراء، فصوت الراء كان صالحًا للحكاية لما فيه من ميزة التكرار[٤٢]

وتجدر الاشارة أن نذكر ان المحاكاة لم تقتصر على الثنائي المضعف بل على الرباعي المشتق منه مثل:(خَرَّ) فقال عنه ابن فارس: ((الخاء والراء أصل واحد، وهو اضطراب وسقوط مع صوت، فالخرير صوت الماء، وعين خرّارة ، وقد خرّت تَخِرُّ))[٤٣] ، وقد لازم الجذر (خَرَّ) الحكاية الصوتية

بصورته المدغمة المشدّدة، وفي الرباعي المكرَّر، وتكريره في الرباعي لمبالغة المحاكاة الصوتية، فقد ورد أنَّ ((الخرير صوت الماء، وصوت الريح، وخرير العُقاب. وقد يضاعف إذا توهم سرعة الخرير))[٤٤] فالصوت الذي يحاكي المعنى هو الراء، يقول الدكتور صالح سليم: ((وهذه الأصوات في عمومها مبنية على التوهم، أي أنَّ الإنسان يستمع إلى الصوت ثم يُحاكي بما يشابه صوتًا من الأصوات التي يصدرها من جهازه ، وغالبًا ما تكون حكايات هذه الأصوات متضمنة أصواتًا حلقية أو مستعلية، وإن خالفت فهي شديدة)) [٤٥]

وكذلك الفعل(زلّ) يقول ابن فارس: ((الزاء واللام اصل مطرد منقاس في المضاعف وهذا من عجيب الأصل تقول والماء الزلال : العذب لانه يزل عن ظهر اللسان لرقته والزّلة الخطأ لأن المخطيء زلّ عن نهج الصواب وتزلزت الأرض اضطربت ... ومن باب الزّلزل كالقِلق لأنه لا يستقر في مكانهِ))[٤٦]

وبحسب افتراضية ثنائية اللغة ان الاصل هو زل وهو ثنائي الشكل احادي المنطوق لانه مكون من مقطع واحد فقط ثم تطور واصبح ثلاثيا وعندما اراوا به الحركة والإضطراب أصبح (زَلزَلَ) وبهذا يفهم السامع انه يراد به مايحدث في الأرض وهو الزلزال عندما تتحرك الأرض تحركا شديدا فالتضعيف جاء لبيان شدة الفعل الذي يحدث في حركة الأرض فحدثت المحاكاة بالتضعيف[٤٧]

فما نراه ان المحاكاة هنا بسبب تكرار الحرفين أو المقطع فالتكرار الصوتي كان سببا لحدوث المحاكاة وبعض الباحثين المحدثين لم يؤيدوا وجود المحاكاة الصوتية مؤكدين قلتها فيرى سوسور : ((أما الكلمات التي هي أمثلة حقيقية للعلاقة بين الصوت والمعنى مثل(tick–tick) و(ging–ging) وغيرها فهي قليلة العدد))[٤٨]

وقضية المحاكاة الصوتية تقودنا الى قضية فلسفية اخرى طال الخلاف فيها وهي مسألة علاقة اللفظ بمدلوله فمن ضمن مفاهيم سوسير ان الدال والمدلول الدال هو الصوت او الحرف المكتوب اما المدلول فهو الصورة الذهنية او الفكرة عن الشيء فالكلمة اشارة او رمز وليست اسما لمسمى بل هي مركب يربط الدال بالمدلول فمثلا كلمة الشمس هي الدال و الصورة الذهنية لشكل الشمس يكون هو المدلول فالدال هو الصورة الصوتية والمدلول هو ما يتصوره العقل ويرى العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية ووضعية ويفسر ان الاعتباطية لاتعني ان اختيار الدال متروك للمتكلم كليا فيرى ان الفرد لا يستطيع ان يغير الاشارة بعد ان تستقر هذه الاشارة في المجتمع اللغوي فالاعتباطية عنده لا ترتبط بدافع اي انها اعتباطية لانها ليس لها صلة طبيعية بالمدلول[٤٩]

فقضية المحاكاة موجودة لكن لا نستطيع أن نعممها على جميع الجذور الثنائية لأن كثير من الجذور الثنائية لا تكون فيها محاكاة لان العلاقة بينهما اعتباطية كما اشرنا سابقا وماكان قليلا في الاستعمال لا يصلح ان ينهض كظاهرة لغوية يبنى ويقاس عليها والله تعالى أعلم..

المراجع

(١) معجم مقاييس اللغة : ٤٨٨/٤

(٢) ينظر: لسان العرب : ٢٠٢/٧

(٣) ينظر: تفسير الكشاف :١١١٩/٢ والكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : ٦٨٨

(٤) ينظر: دراسات في علم أصوات العربية : ١٣٧/١

(٥) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: ٩٨، والأصل المفترض في التفكير اللّغوي(أطروحة):١٠٥.

(٦) المنهج الصوتي للبنية العربية: ٩٨.

(٧) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون:٤٩٧/١

(٨) الحذف والتقدير في النحو العربي:٢٠٩

(٩) ينظر: دراسات في العربية وتاريخها:١١-١٢

(١٠) تكوين العقل العربي:٧٧ وينظر مباحث تأسيسية في اللسانيات:١٠٨

(١١) كتاب سيبويه:٣٦٩/٣

(١٢) ينظر: الافتراض الصرفي دراسة في ضوء علم اللغة الحديث(اطروحة): ٢٥

(١٣) ينظر: الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي: ٩٥

(١٤) البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لفظية التأثير والتأثر : ٨١

(١٥) في علم اللغة التقابلي: ١٦٣

(١٦) ينظر: الألسنية التوليدية والتحويلية قواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة):١٣

(١٧) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث: ١٤١-١٥٩

(١٨) أبحاث في العربية الفصحى : ٢٧٠

(١٩) ينظر: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: ٤٨

(٢٠) دراسات نقدية في النحو العربي (المقدمة) (د- ه)

(٢١) في علم اللغة التقابلي : ١٦٤-١٦٥

(٢٢) ينظر: دراسات في فقه اللغة:١٥٣

(٢٣) مدخل إلى نحو اللغات السامية : ١٢٦

(٢٤) المصدر نفسه :١٢٦

(٢٥) ينظر : التطور النحوي : ٩٥-٩٦

(٢٦) المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية : ٦

(٢٧) الفلسفة اللغوية و الالفاظ العربية : ٩٨-١٠٠

(٢٨) العين : ٤٩/١

(٢٩) المصدر نفسه : ٤٩/١

(٣٠) سرُّ صناعة الإعراب : ٦

(٣١) جمهرة اللغة : ١/ ١٣

(٣٢) ينظر: الافتراض الصرفي (إطروحة): ١٩٧

(٣٣) المحيط في اللغة : ٤٩/١

(٣٤) ينظر: مدخل إلى نحو اللغات السامية : ١٢٦

(٣٥) مقال في الشبكة العنبكوتية لـ Matt Simonبعنوان"Gire the Robot Electroic Tongues

(٣٦)الفلسفة اللغوية و الألفاظ العربية : ٩٨-١٠٠

(٣٧) ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب : ١٢٧- ١٣٢- ١٣٣ - ١٤٤

(٣٨) العين : ٥٦/١

(٣٩) ينظر الخصائص : ٢/ ١٤٨- و٢/ ١٥٤

(٤٠) معجم سر الليال في القلب والإبدال : ٢٢، ونظرية المحاكاة في الدرس الصوتي الحديث (بحث) : ٨١

(٤١) ينظر: مقاييس اللغة :١٧٧/١

(٤٢) ينظر : المصدر نفسه : ١٧٧/١

(٤٣) ينظر: المحاكاة الصوتية في الجذر المعجمي (بحث): ٨

(٤٤) ينظر : مقاييس اللغة : ١٤٩/١

(٤٥)العين(باب الخاء والراء):١٣٩/٤.
(٤٦) الدلالة الصوتية :٦٥
(٤٧)ينظر : مقاييس اللغة : ٤/٣
(٤٨) ينظر: المفردات في غريب القران : ٣٨٢
(٤٩) علم اللغة العام : ٨٨

المصادر والمراجع

١- **أبحاث في العربية الفصحى: د. غانم قدوري الحمد، دار عمان، عمان – الأردن**
٢-**الألسنية التوليدية و التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)**: د. ميشال زكريا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط٢، ٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٣-**البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير و التأثر**، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ط٦، ١٩٨٨م
٤-**تأصيل الجذور السامية وأثره في بناء معجم عربي حديث** : د. حسام قدوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
٥-**التطور النحوي للغة العربية** : برجستراسر ، تصحيح : د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م .
٦- **تكوين العقل العربي**: د. محمد عابر الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت – لبنان ،ط٢٠٠٩،١٠م.
٧- **جمهرة اللغة** : ابن دريد الأزدي البصري (ت ٣٢١هـ)، دار صادر ، بيروت – لبنان ، د.ت .
٨- **الحذف والتقدير في النحو العربي**: علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٨م.
٩- **الخصائص**: أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية، العامة، بغداد، ط٤، ١٩٩٠م.
١٠- **دراسات في العربية وتاريخها**: محمد الخضر حسين، المكتب الإسلامي ومكتبة دار الفتح، دمشق، ط٢، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.
١١ -**دراسات في علم أصوات العربية**: د. داود عبده ، دار جرير للنشر و التوزيع ، عمان – الأردن ،ط١ ، ٢٠١٠م.
١٢- **دراسات نقدية في النحو العربي**: عبد الرحمن أيوب، مؤسسة الصباح، الكويت، د.ت .
١٣- **الدلالة الصوتية في اللغة العربية**: صالح سليم عبد القادر، منشورات جامعة سبها، طرابلس – ليبيا، ١٩٨٨م.
١٤- **سرُّ صناعة الإعراب**: أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: د. حسين هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ط٢، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م.
١٥- **الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية** : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط٤، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٧هـ .
١٦- **العجمية العربية على ضوء الثنائية و الألسنية السامية**: الأب أ. س مرمرجي الدومنكي ، مطبعة الآباء الفرنسيين ، القدس ، د.ط ، ١٩٣٧م .
١٧- **علم اللغة العام** ، فرديناند دي سوسير ، ترجمة يونيل يوسف عزيز ، مراجعة : يوسف المطلبي ، دار آفاق عربية ، د. ط، د. ت .
١٨- **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**: د. محمود السعران، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر، ١٩٩٧م.
١٩- **العين** : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠م.
٢٠- **الفلسفة اللغوية و الألفاظ العربية** : جرجي زيدان ، مراجعة : د. مراد كامل، دار الحداثة، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٨٢م.
٢١- **في علم اللغة التقابلي، دراسة تطبيقية**: د. أحمد سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية – مصر ، د. ط ، د. ت .
٢٢- **الكتاب** : سيبويه ، تحقيق : محمد عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ،ط٣، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م .
٢٣- **الكشاف** : جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، لبنان – بيروت ، ط٣، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م .
٢٤- **كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم** : محمدي التهانوي ، تقديم ومراجعة : د. رفيق العجم، تحقيق : د. علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ط٢، ١٩٩٦م.

٢٥- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية** : أبو البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ) تحقيق : الدكتور عدنان درويش ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٩هـ -٩٩٨م.
٢٦- **لسان العرب**: أبو الفضل، جمال الدين منظور الأفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
٢٧- **المحيط في اللغة** : الصاحب اسماعيل بن عباد (ت٣٨٥هـ) ، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ط١، ١٣٩٥هـ -١٩٩٤م .
٢٨- **مدخل إلى نحو اللغات السامية** : سباتينو موسكاتي وآخرون ، ترجمة : د. مهدي المخزومي ، و د. عبد الجبار المطلبي ، ط١، ١٩٨٢م.
٢٩- **معجم سر الليال في القلب و الإبدال** : أحمد فارس الشدياق ، المطبعة العامرية ،السلطانية (الاستانة) ، اسطنبول ، د. ط ،١٢٨٤هـ .
٣٠- **المفردات في غريب القرآن** : أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٨هـ) ، تحقيق :صفوان عدنان الداوي ، دار القلم ، الدار الشامية ، دمشق ، بيروت ، ط١، ١٤٢هـ .
٣١- **مقاييس اللغة** : أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء (ت٣٩٥هـ)، تحقيق :عبد السلام هارون ،دار الفكر ، د.ط،١٩٧٩م.
٣٢- **مقدمة لدرس لغة العرب و كيف نضع المعجم الجديد** : عبد الله العلايلي ، المطبعة العصرية ، مصر ، د. ط ، د. ت.
٣٣- **الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي** : د. السيد الشرقاوي ، مؤسسة المختار ، القاهرة ،ط١ ،١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٣٤- **منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث**: علي زوين، دار الشؤون الثقافية.
٣٥- **المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي** : د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ،١٩٨٠م.
٣٦- **النحو العربي و الدرس الحديث بحث في المنهج** : د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، د. ط ، ١٩٧٩م .

الرسائل والبحوث:

- **الإفتراض الصرفي دراسة في ضوء علم اللغة الحديث** ،حيدر عبد علي حميدي ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة كربلاء ، ٢٠١٣.
- **الأصل المفترض في التفكير اللغوي قديما وحديثا، أطروحة دكتوراه، مصباح علي أحمد، كليّة الآداب، الجامعة العراقية، ٢٠٢١م.**
- **المحاكاة الصوتية في الجذر المعجمي دراسة في معجم مقاييس اللغة لابن فارس** ،أ.م.د محمد بشير حسن ، جامعة ديالى ، كلية التربية للعلوم الانسانية .
- **نظرية المحاكاة في الدرس الصوتي العربي**، مراد كافي Mehmet Şirin ÇIKAR

المواقع والإنترنت

- **مقال في الشبكة العنكبوتية**
- https://www.wirwd.com. Matt Simon"Gire the Robot Electroic Tongues